مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد 14،العدد01 – 2023 / ص ص:91- 107

نظام تقسيم المياه بواحات قصبة بسكرة: دراسة تحليلية لمضامين وثائقية

Water division systems in Qaṣabat Biskra Oases :Analytical Study of Historical Documentary Contents

جمال عناق *

جامعة العربي التبسي تبسة- الجزائر ، djamel.annak@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام : 2022/06/15 ؛ تاريخ القبول : 2022/11/02 ؛ تاريخ النشر: 2023/01/31

الملخص

يروم هذا البحث التركيز على دراسة موضوع يندرج ضمن الأولويات والإشكاليات القديمة الراهنة، التي تتعلق بدور وأهمية المياه في تنظيم المجال والمجتمع قديما ، وذلك بغيت الإسهام بإيجاد أجوبة من مضامين تاريخية، وبتشخيص لأسباب الأزمات والخصومات وحالة ووضعية الموارد المائية في جزء هام من مناطق الجزائر وهو واحات قصبة بسكرة بشكل موضوعي ودقيق، وذلك عبر جمع المعطيات المائية، واستنتاج تحليلات باستخدام أطر منهجية للوقوف على حالة المجتمع الواحاتي المرتبطة حياته بالمياه.

الكلمات المفتاحية: مياه؛ واحة؛ بسكرة؛ ساقية؛ لكزة

Abstract

This research focuses on the study of a topic that is part of the renewed priorities and problems of the past concerning the role and importance of water in the organization of the ancient sphere and society. It has contributed by providing answers from historical contents, by diagnosing the causes of crises and rivalries, and the situation and situation of water resources in an important part of the region of Algeria, which is the province Qaṣabat Biskra Oases.

Keywords : Oasis; Biskra; Water Division; Lukzh; al-Sāqiyah

* جمال عناق

مقدمة :

تشهد أنظمة استغلال المياه في المناطق الواحاتية مشاكل معقدة ومتشعبة; منها ماهو متعلق بالصيانة ومنها ما هو متعلق بالملكية أو الأسبقية والكيفية... وكثيرا ما كانت تطرح هذه المشاكل نفسها بإلحاح خاصة في فترات الجفاف أو الفتن والتأزم السياسي، إذ تكثر التجاوزات خاصة من ذوي النفوذ وتصبح تلك التجاوزات مع مرور الوقت أمرا واقعا يصعب تغييره مما تخلفه من أضرار بالغة على الأهالي، والمؤسسات بالرغم من وجود الأحكام والتشريعات، لكن أغلبها كان متداولا كأعراف وتقاليد مائية لم ترق الى مستوى الضبط القانوني والشرعي، أو تكون حكما أو أساسا وثائقيا يُستند عليه، وبقي الأمر هكذا عشوائيا تخضع مقتضياته الى المتغيرات السلطوية، ومدى قوتها في فرض نظام مائي صارم حتى و إن لم يكن في صالح المنتفعين والمستغلين الزراعيين..

يأخذنا هذا الكلام الى ما تطرقت اليه كتب الرحالة المغاربة كالعياشي والورثلاني الذين مروا ووصفوا حال الوضعية الزراعية المتدهورة في قصبة بسكرة بعد سيطرة الأتراك على أهم عيونها، وأيضا الوضعية القانونية الجديدة إبان فرض السلطة الفرنسية سلطاتها وقوانينها الصارمة سنة 1863 ما يجعلنا نتناول بالدراسة لبعض من الوثائق التاريخية التي أفردت لنا معطيات متنوعة هي في غاية الأهمية.

إشكالية الدراسة:

ترمي هذه الدراسة من خلال مضامين تاريخية نادرة، ومجال واحاتي متميز للمساهمة في الإجابة على سؤال مركزي يرتبط بالأساس حول معرفة النظم والطرق التي إعتمدتها بعض الوثائق المصدرية لفك النزاعات والخصومات التي كانت تقوم بين الفينة والأخرى بين المنتفعين في واحة قصبة بسكرة؟. بمعرفة مصادر وكميات الإنتفاع من الصبيب المائي، والتقنيات والقوانين التنظيمية المستعملة في إستغلالها وتوزيعها. بتغير السلطة المهيمنة على المنطقة التي عملت على تنظيم المجال والمجتمع..

كما أن التساؤل حول وظائف المؤسسات الإجتماعية في تدبير الماء سواء من طرف المؤسسات المحلية أو مؤسسات الإدارة الاستعمارية، سيمكننا من معرفة المكانة التي حضي بها تنظيم استغلال الماء.

-أهمية الدراسة:

-إن موضوع التنظيم والتدبير المائي بهذه المنطقة، والإشكالية المتعلقة بكيفية التوزيع والإستغلال للمصادر المائية، له أهمية تاريخية كبيرة في معرفة المصادر المائية المعتمدة في تلك الفترة..

-تشير الوثيقة الى حدث تاريخي مهم عند زيارة أحد الحكام الأتراك لقصبة بسكرة وقيامه بإيجاد قسمة مائية اصبحت كقانون فيما بعد.

-تكمن أهمية هذه الوثيقة في ربطها للمجال المدروس بمعطيات طبونيمية مندثرة.

- تؤكد الدراسة على اهمية العرف والتشريع الإسلامي في فك الخلافات بين المنتفعين.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة الى تحقيق مجموعة من الأهداف،يمكن حصرها في مايلي:

-تشخيص عام للمنطقة من خلال ابراز إطارها الطبيعي والبشري باعتبارهما أساس لكل دراسة تاريخية وجغرافية ..

-معرفة الأعراف المحلية المنظمة لتوزيع المياه بالمنطقة المدروسة في تلك الحقبة.

-تحديد دور السواقي والعيون في هيكلة المجال والمجتمع عبر معرفة خصائص أنظمة السقي، وكيفية توزيع المياه بين المستغلين.

-المنهجية المعتمدة في انجاز هذه الدراسة:

اعتبارا للأهداف المتعددة والمختلفة التي يهدف اليها هذا البحث كان من الضروري الإعتماد على مقاربة منهجية تقتضي تعدد المناهج العلمية كالمنهج الكمي الاحصائي الذي يفسر الظاهرة التاريخية إحصائيا، والمنهج السسيولوجي الذي يعتمد على تحليل الضواهر الإجتماعية كالأدوار والتفاعلات بين الفرد والجماعة، إضافة الى المنهج المقارن والمنهج التاريخي الذي سيمكننا من فهم الأحداث التاريخية التي عرفتها المنطقة وأثارها على استغلال الموارد المائية بين مرحلتين مختلفتين وتشكل الواقع الحالي للواحة، دون أن ننسى منهج الجغرافية البشرية الذي يدرس الإنسان كفاعل متأثرا ببيئته..

1.I- تحديد المجال الجغرافي والتاريخي لمنطقة الدراسة:

يجدر بنا قبل تناول الجانب التحليلي للوثيقة أن نعرج أولا الى تحديد المجالات الجغرافية لمنطقة الدراسة نبدأ أولا:

- بسكرة: عاصمة إقليم الزيبان او الزاب يقع بين خطي عرض 35° و 34,30° وبين خطي طول 2° و4° شرق غرينتش، والزاب جمعه زيبان: وقاعدته مدينة بسكرة حسب ما اورده لنا ابن خلدون". في ق8.هـ/14.م (هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لدن قصر الدوسن بالغرب إلى قصور تنومة وبادس في الشرق يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل جاثم من المغرب إلى المشرق ..) (ابن خلدون، 423.1999)

- قصبة: لفظ القصبة ، وقصبة البلد مدينته، والقصبة جوف الحصن يبنى فيه بناء وهو أوسطه، (بن منظور، 1968، ص676.) وهي تطلق على المباني المحصنة ذات الأبراج العالية في كل زاوية، قلما نجدها ثنائية الأبراج أو دونها تأخذ عادة شكلا بنائيا دفاعيا. وقد انتشر هذا الشكل من المباني على مستوى الصحراء الجزائرية. و يطلق لفظ القصبة في هذا الإقليم على نموذجين من العمائر وهما:

1. نموذجا لتجمع سكاني داخل بناية موحدة محاطة بسور ضخم وعال، تتخلله أبراج مربعة الشكل وله مدخل رئيسي واحد، فضلا عن عدة أروقة مغطاة وتملكها أسرة أو قبيلة واحدة قائمة على نظام الأبوة
2. ونموذجا لسكنات اجتماعية محصنة بالجدران الخلفية للبيوت، تسكنها مختلف القبائل والأعراش والأعراق.(محمد، 2009) ص21 .أيضا: (Rebert ;, 1930.p 347, 349.)

أما بالنسبة للتواجد العثماني في الجزائر وشمال إفريقيا فبداياته كانت في القرن 16م، ونفوذه الفعلي في اقليم الزاب لم يبدأ إلا سنة 1640م. فبعد تحركات القبائل وتمردها أقرت سلطة بايلك قسنطينة حامية عسكرية بمدينة بسكرة عاصمة الزيبان سنة 1741م، مكونة من الجنود الأتراك تسمى النوبة " بقيادة حسن آغا والتي كان يقوم دورها بإقرار الهدوء في الجهات المتمردة من طرف بعض القبائل عرفت عند السكان محلات الخريف و الربيع. تم إحتلالها من طرف الجيش الفرنسي سنة 1849م. (ناصر الدين، السنة7 1978.ص132)

2.I- المفاهيم الزمانية الواردة في الوثيقة:

حررت هذه الوثيقة والتي هي عبارة عن عقد شرعي بالمحكمة الشرعية حول جملة سواقي قصبة بسكرة وكيفية توزيعها بتاريخ التاسع من جمادى الثانية عام1278ه الموافق ليوم الخميس 12 ديسمبر عام 1861م. اعتمادا على ما قام به صالح باي (وثيقة تاريخية، 1220ه) لمَّا زار واحة بسكرة سنة 1771م ووجد فيها الكثير من النزاعات حول الماء بين المستغلين وملاَّك بساتين النخيل فعمل على تقسيم مياهها على حساب عدد النخيل بين هؤلاء المستفيدين.

وتعتبر النخبة المذكورة في الوثيقة المؤلف الحقيقي لها باعتبارهم يمثلون الجماعة التي حضرت الى المحكمة الشرعية للنظر في أحكامها ولكونهم أكثر الناس وعيا بمشاكل الماء وشؤون تدبيره والمعترف بهم من طرف السلطة، الأمر الذي يؤهلهم للتشريع في الماء والدفاع عن ذوي الحقوق، والوفاء بجميع الالتزامات تجاه المستفيدين، وللحيلولة دون وقوع صراعات بين الأطراف المعنية، إذ أن تاريخ المنطقة شهد ولا يزال يشهد صراعات عنيفة حول الماء ومثال ذلك ما اشار اليه حسن الوزان في القرن 16م لما تكلم عن احدى واحات الزيبان وهي واحة ليشانة في قوله:**(كثيرا ما تهيج الخصومات بينهم (الفلاحين) بسبب ذلك ويسقط القتلى)**(الحسن، ،، ج 1،ط 2،، 1983، ص 139.) أيضا: (الدرجيني، دون سنة، ص435)

حيث أن كل متحكم فيه يتحكم في جميع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية في كثير من الأحيان وتزخر الوثيقة التي بين أيدينا بمفاهيم ومصطلحات مائية غنية تعكس درجة الإتقان والدراية بالماء وتدبيره والظروف المسؤولة عنه والوسط الجاف الذي تسيل فيه.

3.I- المفاهيم المكانية المائية الواردة في الوثيقة:

تتحدث الوثيقة عن مجموعة من الأحياء التي تروى بمياه مصارف وسواقي رئيسية وهي: الساقية البشاشية(نسبة لحي لبشاش) والمرية(نسبة لحي بني مرة) والضربية(باب الضرب) والخوخية وساقية لمسيد وكل من هذه السواقي قسمت الى سواقي فرعية تستفيد منها أحياء اخرى.(أنظر الجدول:01)

والذي حضر الاجتماع هم من أهل الحل والربط (جماعة بسكرة) للبث في مسألة تقسيم الحقوق المائية، وذلك بحسب مصارف ومآخذ الماء من السواقي، وبيان هذا التقسيم نجده متدرجا من السواقي الرئيسية والفرعية الى المصارف وكلها تخضع تقسيمها على وحدة مائية رئيسية سميت "باللُّكزة" وجمعها ألكازا وهي مثبتة في الخريطة التي أعدها العقيد DASTUGUE سنة 1859/1861 .

4.I- مفاهيم مجالات الإستغلال المائي الواردة في الوثيقة:

أ-الساقية: تعتبر السواقي من ضمن أهم عناصر التهيئة المائية التي تمكن من ايصال المياه الى موقع العمارة ماجلا او جسرا كان، فالساقية بمفهومها البسيط تكون بحفر مجرى بسيطا على سطح الأرض تنصب اليه مياه السيلان بحسب الانحدار تتفرع منها مجموعة من السواقي الثلاثية ، تتفاوت طاقاتها الاستيعابية تبعا لحجم المساحة التي تزودها وعدد المزارعين الساهرين عليها، وقد تحمل أسماء مختلفة إما بحسب المكان الذي تمر فيه أو الجماعة التي تملكها أو القصر الذي تغذيه.

ب-المصرف: جمع مصارف وهو النقطة الطبيعية التي يحول عندها الماء من مجرى الوادي الى الارض المتصلة به. فالمصارف هي بالأساس عبارة عن تهيئة مائية ذات وظيفة تحويلية غايتها التحكم في الدفق السائل. ومن الممكن

اعتبارها الوحدة القياسية للري لأقل من خمسة مزارعين يوميا تتوزع بينهم حسب مكاييل معلومة[10]. (بن وزدو واخرون، 1999،ص196).

القيم / اسماء السواقي	عدد الألكاز		عدد المصارف (كل مصرف فيه 200 نخلة)
	الصيف	الشتاء	
الساقية البشاشية	03 الكاز/30سم (5/3 ثلاثة اخماس)		
الساقية المرية	03 الكاز (5/2 خمسان)		
الساقية الضربية:	12 لكزة ونصف لكزة(على الأعلى)/1.20م		46 مصرفا
ساقية الحارية	09 الكاز	//	20 مصرفا
ساقية الانصارية	11 لكزة	//	
ساقية الحفارة (ساقية باب الفتح)	01 لكزة	//	26 مصرفا
ساقية باب الضرب	؟؟	//	
	؟؟	//	
الساقية الخوخية:	ستة عشرة لكزة ونصف لكزة(على الأعلى)/1.65 م 84 مصرفا		

ساقية مجنيش ساقية قداشة ساقية راس القرية ساقية فرض الزاوية ساقية فرض لمسيد	02 لكزتان 02 لكزتان	10 الكاز ونصف 08 الكاز 08 الكاز 02 لكزتان 02 لكزتان	30 مصرفا 24 مصرفا 30 مصرفا
ساقية لمسيد: ساقية السويعات	ستة الكاز ونصف لكزة(على الأعلى)		50 مصرفا
ساقية المسيديه	4/1 4/3 مائها	// //	// //
ساقية برناوة	06.50 الكاز	//	//
ساقية الجباس:	13.50 لكزة تقسم اشطارا بين:	//	
الساقية الفوقية	//	//	//
لساقية السفلية	4/1	//	//
ساقية قرية كُرَّه	//	5/1	//

الجدول 1: .القيم المائية وتقسيمها على عدد النخيل

المصدر: من إنجاز الباحث

ج-المقاسم: وهي الوحدة الأقل التي تقسم الماء بين المجموعة المستفيدة، وعادة ما تبنى المقاسم بصفة مشتركة بالحجارة و الآجر و الجص و الجير كما تحتاج إلى مشاركة المعنيين بالأمر في صيانتها نتيجة قوة تدفق المياه.

د-المفرق: هو تسمية محلية للمكان الذي يتم تجميع كل المياه فيه، ثم تقسيمها الى سواقي اخرى تتفرق على إثرها المياه نحو البساتين (BARUCH(I), 1881 ,P72-75) خاصة بالمشتركين في القسمة ويكون نصيب كل مشترك حسب مشاركته في العمل.

د-اللكزة جمع ألكاز: وجاء في لسان العرب معنى كلمة لكز بمعنى: **لكزه يلكزه لكزا** : وهو الضرب بالجمع في جميع الجسد ، وقيل : اللكز هو الوجء في الصدر بجمع الكف. (بن منظور،ج05 1968، ص406) وفي القاموس المحيط للفيروزآبادي **اللكز:** هو الوكز والوكز هو الضرب بجمع الكف (الفيروزابادي، ص 524-528) ومنه نستنتج ان **اللكزة** هي ضربة واحدة عموديا بضم الكف في جزء من الساقية بجمع اليد لكي تكون وحدة وأداة قياس منسوب جريان المياه في الساقية.

وهكذا من هذا التعاريف نستطيع ان نعطي تعريفا اصطلاحيا لكلمة اللكزة كوحدة قياسية لصبيب مياه السواقي و تعرف قيمتها بجمع اليد وضمها والتي تقدر ب 10 سم وستكون هذه القيمة هي اساس تصريف مياه السواقي. كساقية البشاشية التي لها لكزتان أي 20سم وكذلك نفس الشيء لساقية المرية أي لكزتان 20 سم.**(انظر الجدول:01).**

ووحدة القياس هذه قد استعملت كثيرا في العهد العثماني و لاتزال الى يومنا هذا آثار الساقية الرئيسية في المكان المسمى الفرض الواقع في حديقة 05 جويلية (جنان بايلك) ببسكرة حيث توجد الساقية كبيرة التي جعلتها الادارة الاستعمارية كنواة رئيسية لتوزيع المياه في شمال واحة بسكرة (زردوم،، 2003، ص50) بعد ان كانت هذه النواة في بسكرة السفلى أين بنى الأتراك كما يذكر العياشي في رحلته في سنة 1059هـ**((حصنا حصينا على رأس الماء الذي يأتي اليها فتملكوا البلاد وضروا بأهلها..))** (العياشي ،1996،ج2،ص 540) وكما يذكر **أيضا الورثلاني** (الورثيلاني، 2006،ج1،ص117) .

وقد كان شرب مدينة بسكرة قبل سبعة قرون مضت من واد او نهر ينزل الى جوفيها كما يذكر البكري(ابو عبيد عبد الله البكري، 2003،ص255) و صاحب الاستقصاء .

I.5- المفاهيم المائية المرتبطة بالزمن:

أ) فصل الصيف: و هي فترة الندرة المائية التي يقل فيها مناسيب العيون ومجاري مياه السواقي ويزداد التبخر بسبب ازدياد الحرارة وهذا يؤدي الى حاجة المزروعات للمياه وعادة تكثر في هذا الفصل النزاعات بين المستغلين.

ب) فصل الشتاء: وهي فترة الذروة وتكون فيها الأودية في حالة فيضان بعد تهاطل الأمطار وبذلك تزداد منسوب مياه العيون والابار، ومن ثم تكون كل السواقي في العالية او السفلية مليئة وتكفي حاجة الزراعة من المياه.

وتتفاوت مدة السنوات المائية وصبيبها تبعا لمدة الأمطار المتهاطلة، وكمياتها وتتقارب فترات هطولها وتباعدها، فعندما تطول فترة فيضان الاودية، وتتعدد في السنة الواحدة يرتفع منسوب المياه وتمتلئ الأحواض وتكثر الينابيع، فيترتب عن ذلك استمرار الماء لعدة شهور، وقد تتعدى ثلاثة أشهر.

ونظرا لاختلاف النوعين المذكورين من المياه فقد كان يتم اللجوء الى وضع نظام تقسيمي خاص لكل نوع منهما. (تافيلالت ص.15)

6.I- النظام العام في توزيع وتقسيم المياه :

شهدت المناطق الواحاتية بالجزائر أنظمة مائية راسخة توارثتها الأجيال جيلا بعد جيل. وأثبتت بذلك مدى صلاحيتها وجاهزية استعمالها واستغلالها من خلال إتباع طرق عديدة لتقسيم المياه التي اعتبرت كنزا ثمينا يجب المحافظة على قطرة منها. وبذلك فقد عرفنا ازدهارا اقتصاديا متى تم توزيعه بالعدل بين الأطراف المستغلة لهذه المياه كما شاهدنا في مراحل لاحقة تدهورا اقتصاديا متى فقد هذا العنصر او بسبب حدوث تجاوزات في الأوساط الزراعية مادامت لم تلتزم بنصيبها المائي الذي كفلته لها الجماعة المتخصصة في توزيع المياه.

وفي هذا العنصر سنتكلم عن اهم النظم والطرق المائية التي كان يتم على إثرها توزيع المياه في بعض المناطق وليست كلها من واحات الزيبان شرق الجزائر. وأولى هذه الطرق نجد مايلي:

أولا:-التي تسقى أراضيها بمياه الأمطار حيث خضع نظام توزيع المياه لنظام دقيق، ففي واحة جمورة شمال قصبة بسكرة كان حاكم بايليك أو ولاية قسنطينة وهو صالح قد قسم مياه عيون هذه الواحة حسب نظام التقسيم من ناحية الحجم، حيث يفصل الثلث بواسطة موزعة المياه ثم يقسم الثلثين الآخرين إلى ثلاثة أقسام متساوية، يسير كل منها في ساقية معينة، واما بالنسبة للعين الكبيرة كان الدور يتألف من ست عشرة نوبة أي ثمانية أيام، وهذا معناه ان كل من العشائر الأربعة القاطنة بالواحة نالت ثلاث نوبات على اثر القسمة، بمعنى انها تتصرف طيلة يوم ونصف بالموزعات والسواقي وتستعملها كما تشاء داخل المجموعة، وتتم القسمة بين عائلات المجموعة بالنظر إلى مساحة الأرض المزروعة أو عدد أشجار النخيل الممتلكة، ويقوم بإحصاء وتحديد قيمة كل حصة من المياه إحصائي يدعى كيال الماء. (العين، 1986، ص85) وقد لاحظنا التشابه الكبير في تقسيم مياه السواقي بين واحات الزاب وواد ريغ وحتى وادي ميزاب، فهي كلها تشترك في نظام واحد عند قسمة المياه، وان اختلف مصدر مياه هذه السواقي، ففي الزاب يركزون على مياه الاودية في حين نجد اعتماد كل من وادي ريغ وميزاب على مياه الآبار والسدود نظرا لقلة الأودية وشحها. والطريقة المشتركة تتمثل في التركيز على القناة او الساقية الكبيرة وهي المفرق. ويترجم ذلك في عدد أسهم كل المشتركين في كل بستان، ولتحويل السهم الواحد الى وحدة طول معينة تتبع طريقة اجرائية بحيث: يقسم عرض مجرى الساقية على حسب عدد أسهم المشتركين في البناء، فمثلا لو كان عرض المجرى يقدر ب01م وعدد الأسهم 70 سهم فطول السهم الواحد هو:

100سم/70سهم =1.42سم ولإيجاد عرض الكوة نجري عملية الضرب:طول السهم يضرب في عدد أسهم المشارك. فإذا كان لأحدهم 10 أسهم نضرب 1.42x10= عرض الكوة هو 14.2 سم.

وتتم هذه العملية تحت إشراف كيال الماء أو أمين الساقية الذي يراقب و يسهر على السير الحسن لهذه السواقي. كما نلاحظ أن السواقي يمكن أن تكون دون حَفْر، وهذا في شكل حواجز ترابية أو حجرية هلالية أو دائرية تقوم بوظيفة توجيه وتحويل الجريان السطحي، أو الرفع من منسوب مياهها فوق سطح الأرض لكي يحول الى موضع أعلى.

ثانيا:-لابد أن تقسم المياه والطريقة الأكثر تداولا في التقسيم بالتناوب هي التقسيم بعدد النخيل أو بعدد المصارف ، والتي تعتمد على إعطاء مجموع الماء المتدفق في أوقات منتظمة لكل مستخدم، خلال مدة محددة، وقد نلاحظ أن أهالي المنطقة يستخدمون العيون بالتناوب لأجل سقي مزارع الحبوب والنخيل(Ville(M),1865.p25)، وللعلم أن هذه الطريقة هي الأكثر تداولا إذ تعتمد على إعطاء مجموع الماء المتدفق في أوقات منتظمة لكل مستخدم خلال مدة محددة، ويتم قياس الوقت بوسائل تقليدية بطول إنسان معين أو عمود أو الوقت الذي يستغرقه تفريغ إناء من نحاس إسطواني الشكل موضوع على قياس معلوم في قاعدته ثقب ضيق يملأ الاناء بالماء حتى ينضب او يترك فارغا حتى يملأ من خلال الثقب تعرف بالتغييرة أو الخروبة.-Capot) rey, 1953.P347-348) وهذا الإناء او الطاسة تعبير زمني يقصد به فترة زمنية معينة من الوقت هي الفترة التي تمتلا فيها الطاسة او تفرغ (عبد الوهاب محمد،.55.2000) وقد استخدم ايضا اهالي الزاب الغربي اداة تعرف "بالمشكودة" مصنوعة من نحاس تشبه الى حد ماخوذة الجندي، بها انبوب يخترقها من الوسط طوله 15سم، وداخل جوانب هذا الوعاء تدرجات لحساب المدة ثم يوضع بعدها داخل حوض كبير مملوء بالماء فاذا امتلأ هذا الاناء بالماء المتسرب من الانبوب يغرق داخله ، وعندها يحسب ساعة كاملة من وقت السقي، ثم يعقد الفلاح عقدة في سعفة خضراء حتى يتمكن من حساب عدد الساعات المخصصة للسقي. وتستخدم عادة في اوقات الليل وفي اوقات الغيوم. واما اذا كان الجو صحوا والشمس مشرقة فانه يستعان بظل الشخص نفسه وباختلاف الاوقات (عبد العالي، .24.2012)وقد وقفنا عند هذا الامر في احدى واحات وادي ريغ. ويلاحظ على أهالي واحات و قرى الزاب و المرتبطة ارتباطا وثيقا بجبال الأوراس مثل واحة جمورة التي تقع بسفحه، قد كان صالح باي قسم مياه عيونها قبل التواجد الفرنسي سنة1849م بنظام قسمة دقيق حيث يفصل ثلث ماء العين بواسطة موزعة خاصة بتوزيع المياه ثم يقسم الثلثان الآخران إلى ثلاثة أقسام متساوية يسير كل منها في ساقية معينة. وفي العين الكبيرة كان الدور يتألف من ستة عشرة نوبة أي ثمانية أيام وهذا معناه أن كل من العشائر الأربع القاطنة بالواحة نالت ثلاثة نوبات على اثر القسمة أي تتصرف طيلة يوم ونصف في الموزعات والسواقي وتستعملها كما تشاء داخل المجموعة وتتم القسمة بين عائلات المجموعة بالنظر إلى مساحة الأرض المزروعة أو عدد أشجار النخيل ويقوم بإحصاء وتجديد قيمة كل حصة من المياه إحصائي يدعى كيال الماء (العين، 1986، ص85) وتخزن

مياه العيون في صهريج و يقال له في بعض القرى الماجن و يكبر أو يصغر على حسب حجم مياه العيون الذي يستقبله ليلا ثم يفتح نهارا للسقي، و يلاحظ أن مياه العيون مقسمة على حصص مملوكة منذ القدم مثل الأراضي التي تملك و يتصرف فيها بالبيع و الشراء و السلف أو الكراء و يمتلك الأهالي حصص الماء حسب مقدرتهم المالية، فالذي له أراضي كثيرة ، من المفروض أن تكون له حصص كثيرة من الماء و إذا لم يكن لمالك الأرض اي مصدر ماء يتوجب عليه ان يكتري أو يشتري .وقد اصطلح بعض أهالي القرى على تسمية حصة الماء باسم العصر و لربما سميت بهذا الاسم لاقترانها بزمن العصر بعد الزوال حيث يكون هو زمن القسمة بين الأهالي وتقسم هذه الحصة إلى أجزاء هي : النصف-الربع-الثمن و تختلف دورات هذه الحصص فمنها ما يدور بعد أسبوع واحد، أو أقل ومنها ما يدور بعد أسبوعين ومنها ما يصل في دورته إلى أكثر من عشرين يوما، وهذا حسب ما يملكه الإنسان. ويفيدنا الحسن الوزان في هذا الشأن عن كيفية تقسيم وتوزيع الماء في إحدى واحات الزاب الغربي وهي ليشانة حيث يقول:(نظرا لقلة الماء بها، فإن كل فلاح على انفراد يجلب الماء إلى حقله ساعة أو ساعتين من نهار حسب سعة أرضه.....ولهؤلاء الفلاحين ساعات مائية يملؤونها وعندما تفرغ يكون وقت السقي المخصص بهم قد انتهى و لا يحق للمستفيد من الماء أن يحتفظ به حينئذ) (الحسن، ،، ج 1،ط 2،، 1983، ص 139.) ومن خلال هذا القول وما جاءت به مختلف النوازل لا يبدو أن طرق تقسيم وتوزيع المياه يختلف كثيرا عن ما وصفته و أكدته لنا بعض الوثائق التاريخية التي تنقل لنا نفس المصطلحات و المفردات وتستعمل نفس أسلوب التقسيم إلى حد بعيد و الذي تحدثت عنه بعض المصادر.

ثالثا:-بعض الوثائق تطرح اشكالية اعادة تنظيم استغلال السواقي اعتمادا على ما قام به صالح باي لما جاء الى بسكرة سنة 1771 لما قسم الماء على عدد النخيل، وبذلك فان هذه الوثائق تزودنا بفكرة آلية تقسيم مياه هذه الواحات على احيائها وقراها.

وأما الوثائق الاخرى فيمكن اعتبارها انها كراسة مؤرخة في سنة 1863 ومناقضة في نفس الوقت للوثيقة الأولى على اعتبار ان السلطة المهيمنة هي سلطة اجنبية فإنها كيَّفت مراسيمها الادارية بإستحداث 30 مرسوم يحدد كميات شرب اهالي قصبة بسكرة. بما يخدم مصالحها.

- شروط الإستفادة من مياه سواقي القصبة

-المسؤولون عن حراسة الماء

-أوقات السقي

-شروط إكترائها

-عقوبة المفسدين لمياه القصبة.(الوثيقة رقم02)

وبالرغم من مدى أهمية هذه المراسيم في التوزيع الحسن والحفاظ على الشبكة المائية في الواحة الا أننا لما نعلم أن هذه القوانين جاءت لتخدم فئة البرجوازية الاستعمارية المستغلة لهذه المياه حينها تسقط قيمة هذه التنظيمات التي في مجملها لن يستفيد منها الساكنة المحلي.

وكما رأينا- ومع هذا الواقع الطبيعي و البشري الذي راعى فيه جملة من الشروط المبنية على أسس وقواعد فنية وهندسية استجابت لجملة من المعطيات البيئية والاقتصادية والاجتماعية، لأن عناصر التجهيزات المائية في مثل هذه الظروف، هي حصيلة خبرات شاركت الأجيال في تجميعها وتحسينها، ومن ثمة الاستفادة منها لتجاوز عقبة الندرة المائية وفق معطيات طبوغرافية خاصة وان هذه العناصر المائية أفادتنا في تحليل آلية التطور الذي أخذته عمليات الانجاز والإنشاء و التسيير ومن ثمة استثمار المورد المائي التهاطلي، إلى أقصى حد ممكن.

I.7- معطيات الوثيقة (رقم02) وتحليلها:

يلخص الجدول الموالي التقسيم المائي كما ورد في هذه الوثيقة، ويتبين من خلاله مايلي:

المقادير المخصصة لكل حي من احياء بسكرة مع الاشارة الى ان تحديد هذه المقادير كما نلاحظ في هذه الوثيقة مصدرها اهل الخبرة والمتمرسين في هذا المجال وهذه المقادير هنا لا تعني الصبيب أي كمية الماء الجاري في الثانية المعبر عنها ب V/T (السرعة/الوقت) [13] فهذه العملية تحتاج الى ادوات وأساليب متطورة لم تكن لتتوفر في تلك المرحلة، ولكن تعني الكمية العامة للمياه الداخلة الى كل بستان. وهي كمية قيست باللكزة او بالمصرف وسنقدرها بعدد كسري مثل 12/12 او بالنسبة المئوية 100%. ولحساب مجموع النسب المتعلقة بكل ساقية فإننا سنقوم بضرب العدد x100 عدد الكاز كل ساقية على مجموع الكاز السواقي مثال: الساقية الخوخية: x100 1448.7/165سم= 11.38% وهكذا دواليك مع بقية نسب السواقي الاخرى(انظر الجدول02).

الجدول02: **التوزيع الدوري لمياه سواقي قصبة بسكرة**

السواقي	عدد الألكاز	وحدة القياس بالسنتمتر	النسبة المئوية
الساقية البشاشية	03	30	02.07
الساقية المرية	03	30	02.07
الساقية	12.5	125	08.62
الضربية:	09	90	06.21
ساقية	11	110	07.59
الحارية	01	10	0.69
ساقية	06	60	4.14

الانصارية ساقية الحفارة (ساقية باب الفتح) ساقية باب الضرب	06	60	4.14
الساقية الخوخية: ساقية مجنيش ساقية قداشة ساقية راس القرية ساقية فرض الزاوية ساقية فرض لمسيد	16.50 10 08 08 02 02	165 100 80 80 20 20	11.38 6.90 5.52 5.52 1.38 1.38
ساقية لمسيد: ساقية السويعات ساقية المسيديه	06.50 1.68 الربع 2.16 ثلاثة ارباع	65 16.8 21.6	4.48 1.15 1.49
ساقية برناوة	06.50	65	4.48
ساقية الجباس:	13.50	135	9.31

الساقية الفوقية	06.75	67.5	4.65
الساقية السفلية:	06.75	67.5	4.65
ساقية قرية كُرَّه:	1.68صيفا (الربع) 1.35شتاءا(الخمس)	16.8 13.5	1.15 0.93

المصدر: من إنجاز الباحث

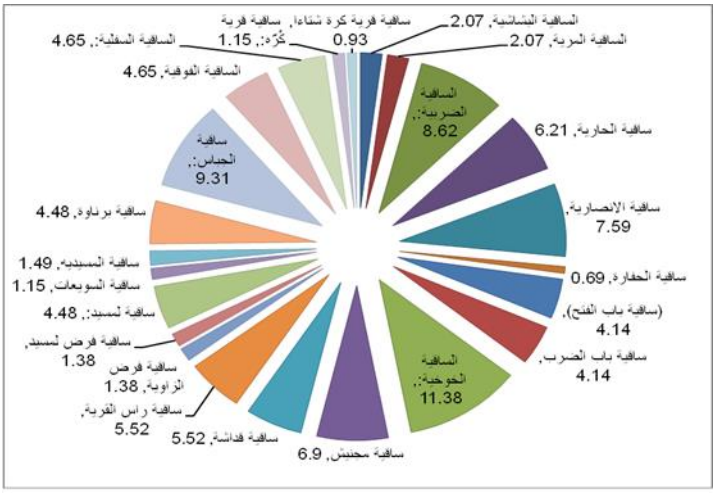

الشكل 1: .التقديرات الكمية لعدد الألكار

المصدر: من إنجاز الباحث

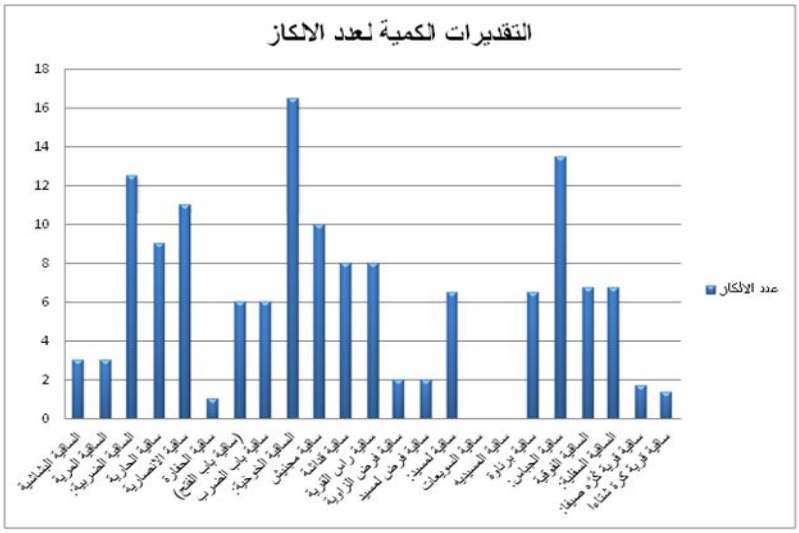

الشكل 2: .التقديرات النسبية لمياه السواقي

المصدر: من إنجاز الباحث

ومن خلال السياق العام لهذه الوثيقة فإن مياه العيون المستغلة تقتسم مناصفة بين أهل وسكان واحة بسكرة الفوقانيين ومن معهم، وذوي الحقوق في العالية وبين من هم في السافلة وغيرهم من ذوي الحقوق. ولكن على حسب عدد النخيل الذي فرضه صالح باي سنة 1776م، ويشرف على عملية التقسيم هذه شيخ الساقية كما تحدده الأعراف وكما اتفق عليه أهل الحل والربط، ويرجع سبب تبني التقسيم بالمناصفة إلى عاملين:

- أولهما: قصر مدة جريان السواقي التي قد تتراوح بين يوم وثلاثة أيام من جهة، وهذا هو العامل الأساسي.

-ثانيا: كمية المياه الفائضة الكثيرة من جهة ثانية والتي تقبل القسمة مناصفة في كل حين. ثم ان تقسيم الماء يخضع للدورة أو كما يعرف بالنوبة بعدد أيام الاسبوع، على حسب اشتراكات وكثرة بساتين النخيل مثل ساقية الخوخية التي لها ستة عشرة لكزة ونصف لكزة(على الأعلى) و 84 مصرفا.

II- الخاتمة:

وفي الاخير أعتبر أن هذه المعطيات هي معطيات أولية أردت من خلالها التعريف ونشر لهذه الوثيقة التي تحتاج مزيدا من التحليل والبحث بالاعتماد طبعا وبشكل رئيسي بالمنهج الاحصائي الكمي، الذي حاولنا فيه تبيان أصول قسمة مياه واحة بسكرة باستخدام معطيات قياسية نسبية وكمية احصائية للوصول الى معرفة مختلف الاجراءات التي تفنن فيها وفي استخدامها من كان قبلنا بالاعتماد على القيمة الكمية العددية للنخيل لا على القيمة الزمنية المرتبطة باليوم والليلة، لأن فيها من ضياع حقوق المستفيدين والمستغلين ما قد يؤدي الى النزاع بين الاطراف الى حد القتال.

III - الملاحق: صورة أصلية عن الوثيقة المؤرخة في : يوم 09جمادى الثانية عام1278هـ،الموافق ليوم الخميس 12 ديسمبر عام 1861م

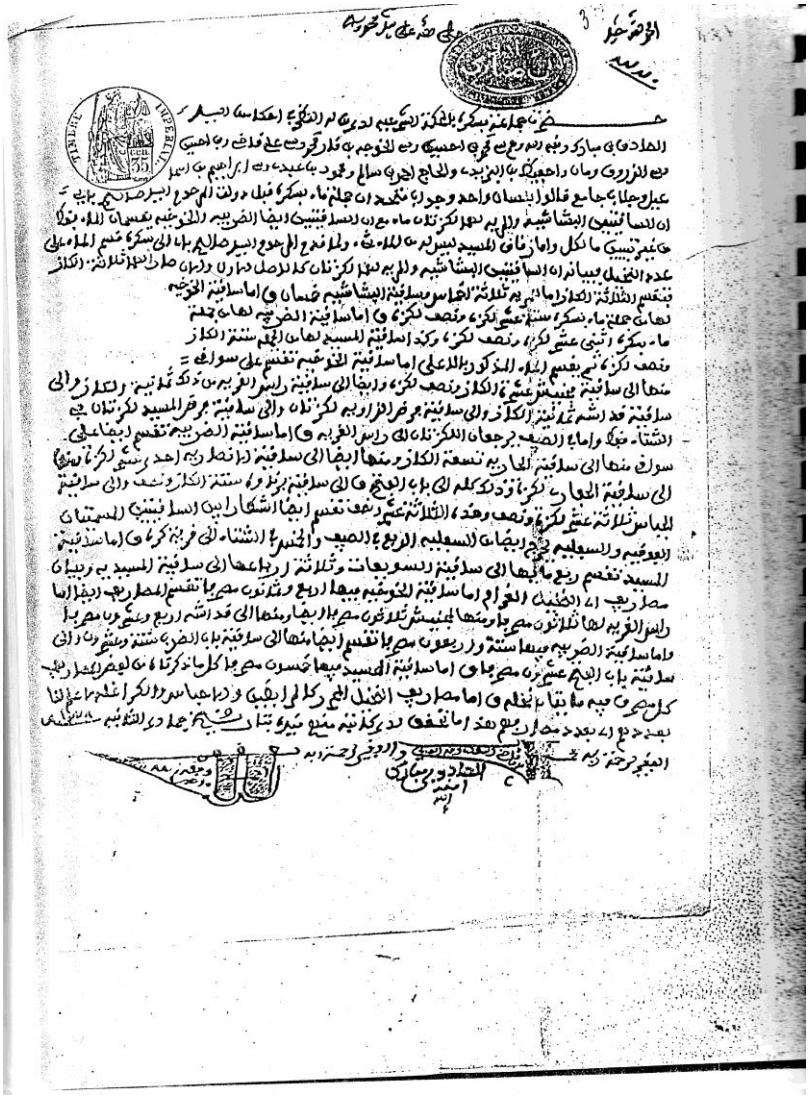

المصدر : وثيقة تاريخية مخطوطة موثقة تحت رقم 11 أرشيف ولاية قسنطينة

- **نص الوثيقة:**

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وسلم .حضرت جماعة بسكرة بالمحكمة الشرعية لدى من له النظر في احكامها السيد: الصادق بن مبارك وفقه الله ونعمه سي محمد بن احسين وسي الخوجة بن ...محمد وسي علي قاضي ابن احسين وسي الزروق ومان و احفيظ بن البزيدي والحاج احمد بن سالم ومحمود بن عبدي وسي ابراهيم بن اسماعيل جلاب جامع قالوا بلسان واحد وجواب متحد ان جملة ماء بسكرة قبل دولت المرحوم السيد صالح باي:

ان الساقيتين البشاشيه والمريه لهما لكزتان ماء مع ان الساقيتين ايضا الضربيه والخوخيه يقسمان الماء فقط من غير تبيين ما لكل(هكذا والقصد من الساقيتين من الكاز) و اما زقاق المسيد ليس له من الماء شيء(؟؟؟.) ولما قدم المرحوم السيد صالح باي الى بسكرة قسم الماء على عدد النخيل فبيانه ان الساقيتين البشاشيه والمريه لهما لكزتان كالاصل فيها..والان صارا لهما ثلاثة الكاز فتقسم الثلاثة الكازا ما للمرية ثلاثة اخماس وساقية البشاشية خمسان و اما ساقية الخوخية لها من جملة ماء بسكرة ستة عشرة لكزة ونصف لكزة و اما ساقية الضربيه لها من جملة ماء بسكرة اثني عشر لكزة ونصف لكزة وكذا ساقية المسيد لها من الجملة ستة الكاز ونصف لكزة ثم يقسم الماء المذكور بالاعلى اما ساقية الخوخية تقسم على سواقي:

منها الى ساقية مجنيش عشرة الكاز ونصف وايضا الى ساقية رأس القرية من ذلك ثمانية الكاز والى ساقية قداشة ثمانية الكاز والى ساقية فرض الزاوية لكزتان والى ساقية فرض لمسيد لكزتان في الشتاء فقط واما في الصيف يرجعان اللكزتان الى راس القرية واما ساقية الضربية تقسم ايضا على سواق منها الى ساقية الحارية تسعة الكاز ومنها ايضا الى ساقية الانصارية احدى عشر لكزة منها الى ساقية الحفارة لكزة وذلك كله الى باب الفتح والى ساقية برناوة ستة الكاز ونصف والى ساقية الجباس ثلاثة عشر لكزة ونصف وهذه الثلاثة عشرة ونصف تقسم اشطارا بين الساقيتين المسميتان (هكذا والأصل المسميتين) الفوقية والسفلية يخرج ايضا من السفلية الربع في الصيف والخمس في الشتاء الى قرية كُرَّه و اما ساقية المسيد تقسم ربع مايها(مائها) الى ساقية السويعات وثلاثة ارباعها الى ساقية المسيديه وبيان مصاريف(مصارف) ان النخيل الغرام اما ساقية الخوخيه فيها اربع وثمانون مصرفا تقسم المصاريف ايضا اما راس القرية لها ثلاثون مصرفا ومنها لمجنيش ثلاثون مصرفا ايضا ومنها الى قداشة اربع وعشرون مصرفا واما ساقية الضربيه فيها ستة وأربعون مصرفا تقسم ايضا منها الى ساقية باب الضرب ستة وعشرون والى ساقية باب الفتح عشرون مصرفا واما ساقية المسيد فيها خمسون مصرفا كل ما ذكرناه من بعض المصاريف كل مصرف فيه مايتان(مئتان) نخلة واما مصاريف النخيل....كالمرابطين والاحباس والكراغله ما علم لنا بعددهم أي بعدد مصارفهم هذا ما تحقق لدى كاتبه منهم قيده بتاريخ 09 جمادى الثانية سنة 1278هـ. الفقير برحمة ربه محمد..الامضاء..الصادق بن مبارك أمنه الله والفقير لرحمة ربه بعفوه الامضاء بن احمد وفقه الله وامَّنه.

- المراجع :

1. ابن خلدون, ع .(1999) .كتاب العبر ، ج6، ط1، ت: تركي فرحان المصطفى . بيروت: دار إحياء التراث العربي .
2. البكري, ا .(2003) .المسالك والممالك، ج2 .بيروت: دار الكتب العلمية.
3. وثيقة تاريخية مخطوطة مؤرخة سنة1220هـ. قسمة مياه قصبة بسكرة .بسكرة, رقم11.ارشيف قسنطينة.
4. الحسن. الوزان (ليون الافريقي) ،، ، (1983) وصف إفريقيا، ت محمد حجي، محمد الاخضر .بيروت: دار الغرب الإسلامي.
5. الدرجيني, (دون سنة) .طبقات المشائخ بالمغرب .قسنطينة: مطبعة البعث.
6. العياشي،)، (1996) .ماء الموائد، ت سعد زغلول عبد الحميد واخرون .الاسكندرية: منشأة المعارف،.
7. محل العين, ج. م .(1986) .،طبيعة أراضي العرش في جزائر ما قبل الاستعمار .مجلة التاريخ ,رقم21.
8. الورثيلاني, ا .(2006) .نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار.ت محمد بن أبي شنب .القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
9. بن منظور, أ. ا .(1968) .لسان العرب، .بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
10. تافيلالت. .(s.d.) .ص15.
11. عبد العالي, ي .(2012) .، اوماش عراقة وأصالة .بسكرة: ط1، دار علي بن زيد.
12. محمد, م .(2009) .البيئة وأثرها في توجيه العمارة المحلية(إقليم تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست نموذجا)،، .الجزائر: معهد الاثار.
13. ناصر الدين, س(.1978) .(، الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة، .مجلة الأصالة السنة7 ،ع -60-61
14. بن وزدو واخرون (1999) ، قانون المياه والتهيئة المائية بجنوب افريقية .تونس: مركز النشر الجامعي.
15. عبد الوهاب محمد, ع .(2000) .غيول صنعاء .دمشق: ط1، دار الفكر.
16. BARUCH(I). (1881). ,Note Sur Le cours d eau Appele (MAFRAG),V25,. Ruvue Africaine, Paris.
17. Capot-rey. (1953). Le Sahara Français,T, 02. paris..
18. Ville(M). (S.D.). Voyage d’exploration dans les Bassins du Hodna et du Sahara. Paris.